الفصل العاشر
فجر الأخلاق

obeikandl.com

obeikandl.com

الأخلاقيات هي التي تفرق بين التقدم والتخلف، والأخلاقيات هي السمة الوحيدة التي بناء عليها يمكن قياس مدى تقدم الشعوب، فنحن لا نتردد في الإشادة بحيوان مثل الكلب نظرا لوفائه، فنجده قد نال شرفا لأخلاقه.

والأخلاق لا يمكن الاختلاف عليها، فهي واحدة مهما تباعدت الشعوب والأمم مكانيا، ومهما تباعدت زمانيا.

هي واحدة، مهما اختلفت عقائد الأمم وثقافاتهم.

ومصر؛ هي من أبدع في الإشادة بالأخلاقيات، والاهتمام بها وتسجيلها، فنجد حكماؤنا القدامى قد تباروا في تعليم العالم الأخلاق، قد تباروا في أن لا يتركوا المصري ضحية لرغباته، أو شهواته، لذا كانت النصائح والحكم، التي لا يمكن فقط أن نقول أنها شملت كل جوانب الحياة، ولكن يجب أيضا أن ننوه، أن حكمائنا هم أول من اهتم بالأخلاقيات، ففجر الأخلاقيات في كل جوانبها ولد في مصر.

مكانة المرأة عند المصري القديم:

- علموا المرأة يتعلم الرجل.. ويتعلم الشعب. "الحكيم كاجمنى"

مكانة الزوجة عند المصري القديم:

- إذا كنت رجلا ناجحا، وطد حياتك المنزلية، وأحب زوجتك في البيت كما يجب. "بتاح حوتب"
- الزوجة الصالحة هبة من الإله لمن يستحقها. "الحكيم سنب حوتب"
- يا ولدى، إذا كنت عاقلاً فأسس لنفسك بيتاً وأحب زوجتك من قلبك، أملأ بطنها واكس ظهرها واشرح صدرها؛ إياك أن تقسو عليها، فإن القسوة خراب للبيت الذي أسسته، فهو بيت حياتك؛ لقد اخترتها أمام الإله، فأنت مسئول عنها أمام الإله. "الحكيم سنب حوتب"

- إذا أردت رضا الإله، فأحب شريكة حياتك، اعتن بها، تعتن ببيتك وترعاه؛ قرِّبها من قلبك، فقد جعلها الإله توأماً لروحك؛ إذا أسعدتها، أسعدت بيتك، وإذا أسعدت بيتك أسعدت نفسك، زودها بكسوتها، ووسائل زينتها، وزهورها المفضلة، وعطرها الخاص، فكل ذلك سينعكس على بيتك، ويعطر حياتك، ويضفى عليها الضوء؛ أسعدها ما دمت حياً، فهي هبه الإله الذي استجاب لدعائك بها عليك، فتقديس النعمة إرضاء للآلهة، ومنعاً لزوالها. "الحكيم سنب حوتب"
- ولتكن شريكة حياتك التي تختارها امرأة قنوعة ومتواضعة في أحلامها ومطالبها وسعة تفكيرها، كبيرة القلب، امرأة يجعل منكما الرباط المقدس روحاً واحدة، وقلباً واحداً،

وأمالاً واحدة، تربطها الثقة المتبادلة. "الحكيم سنب حوتب"

- إذا أحببت فتاة، وبادلتها حب بحب، فإياك أن تخونها؛ إن الحفاظ على الرباط العائلي المقدس حياة للمجتمع؛ إذا اقترفت هذا الجرم خنت المروءة، وأغضبت الإله، وجلبت على نفسك العار والضرر والاحتقار. "الحكيم بتاح حوتب"

- يا بنى.. الزواج هو رحلة العمر في بحر الحياة، إن تلك الرحلة تحتاج إلى زاد؛ حتى تنتقل بأمان إلى شاطئ نهر الحياة؛ تحتاج إلى زاد من الثقة، والصبر، والتسامح، تحتاج إلى زاد من قوة السواعد المشتركة التي تمسك المجدافين حتى يضربا صفحة الماء معاً، فتحتفظ السفينة بتوازنها، وتحنى لها العاصفة رأسها، فتشرق الشمس بعدها، فيساعد النسيم على أمان سير السفينة، وهو يداعب شراعها، ليكن ساعدك قوياً، فلا تيأس، ولا تترك المجداف؛ حتى لا تسير السفينة على غير هدى، إنها رحلة العمر، فليباركها الإله يا ولدى. "من برديات تل العمارنة"

مكانة الأم عند المصري القديم:

- الأم هبه الإله؛ ضاعف لها العطاء، فقد أعطتك كل حنانها، ضاعف لها الغذاء، فقد غذتك من عصارة جسدها؛ أحملها في شيخوختها فقد حملتك في طفولتك؛

أذكرها دائماً في صلاتك، وفى دعائك للإله الأعظم، فكلما تذكرتها تذكرتك، وبذلك ترضى الإله؛ فرضاؤه يأتي من رضائها عنك. "من برديات تل العمارنة"

- الأم هبه الإله للأرض؛ فقد أودع فيها الإله سر الوجود، فوجودها استمرار لوجود البشر. "من برديات تل العمارنة"
- لا تنس أمك، وما عملته من أجلك، ضاعف لها غذاءها؛ أحملها كما حملتك، فإذا نسيتها، نسيك الإله؛ لقد حملتك تسعة أشهر، وحينما ولدت، حملتك ثانية حول رقبتها، وأعطتك ثديها سنوات، لم تشمئز من قذارتك، ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة، كانت تقف بجوار معلمك، ومعها الخبز، والحبة جاءت بها من البيت. "من بردية الحكيم آنى"

- إذا مات الأب هتفت الأرواح الخالدة مات من كان يكرمك الناس من أجله؛ وإذا ماتت الأم هتفت الأرواح الخالدة ماتت من كان الآلة يكرمك من أجلها. "من بردية الحكيم آنى"
- دعاء الأبناء لن تسمعه السماء إلا إذا خرج من فم الأمهات. "من بردية الحكيم آنى"

العلاقات المجتمعية عند المصري القديم:

- الشجرة التي تستظل بها زرعها من عاش قبلك..رد الجميل بزراعة شجرة أخرى يستظل بها من يأتي بعدك.

الاتحاد عند المصري القديم:

- من يجدف ضد التيار لن يغير اتجاه التيار.
- ليس هناك من شجاع في الليل، والإنسان لا يستطيع أن يحارب وحده. "من أقوال الملك أمنحوتب الأول"

أدب الحوار:

- لا تجادل الجاهل. "الحكيم أميمنوبى"
- هناك أسئلة لا يجاب عنها إلا بالصمت. "الحكيم أميمنوبى"
- فم الإنسان ينجيه. "من قصة الملاح الناجي"
- الثمرة الكبيرة لا تريد أن تسمع أنها كانت يوما بذرة صغيرة.
- إن المستمع هو الذي يحبه الإله، أما الذي لا يستمع فهو الذي يبغضه الإله، والقلب هو الذي يجعل صاحبه مستمعا، أو غير مستمع، إن ثروة المرء العظيمة هي قلبه، فما أفضل الابن عندما يصغى لأبيه، والابن إذا وعى لما يلقيه عليه والده، فإنه لن يخيب في مشروع من مشروعاته، وعليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه أبنك، ومن سيكون ناجحا في نظر الأمراء، ومن يوجه فهمه حسبما يقال له، ما أكثر المصائب التي تنزل بمن لا يستمع، والرجل العاقل يبكر في الصباح، ليصلح من شأن نفسه، أما الجاهل فإنه يصبح في حالة ارتباك، كما

obeikandl.com

أن الأحمق الذي لا يستمع، فإنه لم يسئ إليه أحد، بل هو يعتبر الحكمة جهلا، وما يفيد كما لا نفع يرجى منه، والابن المطيع يصل إلى الشيخوخة وينال الاحترام، وهو يتكلم بدوره لأولاده، معيدا لهم نصائح والده، فهو إذن يتحدث لأولاده، وهم بعد ذلك يتحدثون لأولادهم. "بتاح حوتب"

- إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع، فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة، وأحترمه طبقا لما وصل إليه، فإن الثمرة لا تأتى عفوا، ولا تعيدن قط كلمات حمقاء، وخرجت من غيرك في ساعة غضب، والزم الصمت، فإنه أحسن من الأزهار، وتكلم فقط، إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات، وإن الذي يتكلم في المجالس لفنان في فن الكلام، وصناعة الكلام أصعب من أي حرفة أخرى، وعليك أن تقدم للأمير النصيحة التي تساعده، وبطن الرجل المحبوب تملئه، وظهره يكسى تبعا لذلك، كن عميق القلب، نذر الكلام، وكن ثابت الجنان طوال كلامك.

- كن ممن يحسنون صناعة الكلام، لتكون قوى البأس؛ لأن قوة الإنسان هي اللسان، والكلام أعظم بأسا من كل حرب. "ملك من أهانسيا"

الحث على العمل:

- إن كنت لا تحمل فوق عربتك سوى القش، فلن تصبح يوما تاجر حبوب.
- لا يمكن أن تصنع شيئا تغير به الماضي، ولكن يمكنك أن تصنع شيئا تغير به المستقبل.
- لا تحاول إنجاز عمل لا تقدر عليه.
- الثروة لا تأتى من نفسها.

مكارم الأخلاق:

- لا تكن فظا، لأن الشفقة محبوبة، وليكن أكبر أثر لك، محبة الناس لك، وسيحمد الناس الله على مكافئتك لهم، مقدمين الشكر على عطفك وطالبين لك العافية في صلواتهم. "ملك من أهناسيا"
- حصِّل الأخلاق... واعمل على نشر العدالة، بذلك تحيا ذريتك. "بتاح حوتب"
- كن باش الوجه ما دمت حيا. "بتاح حوتب"
- فإذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته، فلا تسألنه عن شيء، ولكن أقترب منه وتعامل معه، على انفراد معه، وامتحن قلبه بالمحادثة، فإذا أفشى شيئا قد رآه، أو أتى أمرا يجعلك تخجل منه، فعندئذ احذر، حتى من أن تجاوبه.

obeikandl.com

- أشبع أصدقاءك بما جد لك بسبب نيلك الحظوة عند الإله، إذ لا أحد يعرف مصيره، إذا فكر في الغد، وإذا اعتور حظوته لدى الملك شيء فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتئون يقولون: مرحبا... فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط الذي يهدد الإنسان، ولكن سترى فيما بعد: إنه عندما يسوء حالك، فإن فضيلتك ستكون فوق أصدقائك. "نصائح مصري قديم لابنه"
- إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر، وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا... فلا تنسَ كيف كانت حالتك في الزمن الماضي، ولا تفخر بثروتك التي أتت إليك منحة من الإله، فإنك لست بأفضل من غيرك من أقرانك الذين حل بهم ذلك. "نصائح مصري قديم لابنه"
- المرأة الجميلة ليست دائما فاضلة، والمرأة الفاضلة دائما جميلة.
- إن فضيلة الرجل المستقيم، أحب من ثور الرجل الظالم. "من النصائح المقدمة لمرى كا رع"
- افعل الطيب وألق به في وسط النهر.
- كن متواضعًا، فإن سمعتك الطيبة ستستقر في قلوب الناس.
- إن فضيلة الرجل هي أثره، ولكن الرجل سيئ الذكر منسي. "من شاهد قبر مصري قديم"

- إني لا أقول كذبا، لأني كنت إنسانا محبوبا من والده، ممدوحا من والدته، حسن السلوك مع أخيه، ودودا لأخته.

- إن الملك مدحني، وترك والدي وصية لمصلحتي، لأني كنت طيبا... وإنسانا محبوبا من والده، ممدوحا من والدته، ويحبه كل أخوته.
- والآن، قد عملت على أن أدفن في نفس القبر مع والدي، لكي أكون معه في مكان واحد، على أنى لم أفعل ذلك لأني لست في مكانة تؤهلني لبناء قبر ثان، بل فعلته حتى أتمكن من رؤية أبى كل يوم، ولكي أكون معه في المكان عينه.
- لقد طلبت من المثال أن ينحت لي هذه التماثيل، وقد كان مرتاحا للأجر الذي دفعته إليه.

- أما فيما يخص كل رجل ساهم في إقامة هذا القبر، فإنه لم يكن قط غير مرتاح، سواء أكان صانعا أم حجارا، فإني قد أرضيته.
- لقد أعطيت خبزا لكل الجائعين في ضيعتي، وكسوت كل من كان عريانا فيها، وملأت الشواطئ فيها بالماشية الكبيرة، وأراضيها المنخفضة بالماشية الصغيرة، وأشبعت كل ذئاب الجبل، وطيور السماء بلحوم الحيوان الصغير... ولم أظلم أحدا قط في ممتلكاته، حتى يدعوه ذلك إلى أن يشكوني لإله مدينتي، ولكنني قلت وتحدثت بما هو خير. ولم يوجد إنسان كان يخاف غيره ممن هم أقوى منه حتى

يجعله ذلك يشكو للإله، ولقد كنت محسنا لأهل ضيعتي بما في حظائر ماشيتي، وفى مساكن صيادي الطيور، وإني لم أنطق كذبا لأني كنت أمرؤا محبوبا من والده، ممدوحا من والدته، رفيع الأخلاق مع أخيه، ودودا لأخته.

- إني لم آت أي سوء قط ضد أي إنسان. "رئيس أطباء الملك سخو رع"
- إني لم أرتكب عنف ضد أي إنسان. "رئيس أطباء الملك سخو رع"
- انتم أيها الأحياء الذين على وجه الأرض المارون بهذا القبر، جودوا بقربان جنائزي مما عندكم، فيؤتى به إليَّ، لأني كنت إنسانا محبوبا من الناس، فلم أجلد قط من حضرة أي موظف منذ ولادتي، ولم أستول على متاع أي شخص قسراً، وكنت أفعل ما يرضى جميع الناس.
- لقد فعلت ما كان يحبه الناس، ويرضى الآلهة حتى يجعلوا بيت أبديتي يبقى، وأسمى موضع الحمد على ألسنه الناس.
- خذ ما يقدم لك عندما يوضع أمامك، دون أن تنظر إلى ما هو أمام غيرك، ولا تحملق لحظات كثيرة إلى الرئيس، وانظر بمحياك إلى أسفل إلى أن يحييك، وتكلم فقط بعد أن يرحب بك، واضحك حينما يضحك، فإن ذلك يدخل السرور على قلبه، وما تفعله يكون مقبولا، لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب.

الكياسة والفطنة:

- احذر الأيام التي يمكن أن يأتي بها المستقبل. "نصائح مصري قديم لابنه"
- ما من بستان إلا وبه أكثر من أفعى.
- تهرب العصافير عندما تسقط الشجرة، وتهرب الحشرات عندما تروى الأرض.
- ليست الحكمة أن تعرف الطريق، بل أن تمشى فيه.
- ليست القوة ألا نسقط، ولكن القوة في أن ننهض كلما سقطنا.
- لا تتحدث بصوتين. "من أقوال عنخ شاشنقى"
- الشره لا يعطيك طعاما. "من أقوال عنخ شاشنقى"
- ما يضمره الإنسان يبدو على وجهه. "من أقوال عنخ شاشنقى"
- إن صديق الطائر طائر.
- من يحرك حجرًا يسقط على قدمه.

الحث على العلم:

- لا تكن فخورًا بمعلوماتك، استشر الجاهل والعارف. "من أقوال الحكيم بتاح حتب"

العدل:

- احذر... إن الأبدية تقترب. "الفلاح الفصيح"

obeikandl.com

- لقد خلقت كل رجل مثل أخيه، وحرمت عليهم إتيان السوء، ولكن قلوبهم هي التي نكثت ما قلته.
- لقد خلقت الرياح الأربعة، ليتنفس بها الإنسان مثل أخيه الإنسان مدة حياته، ولقد خلقت الماء ليشرب منها العبد والسيد.

- إن العدالة ستعود إلى مكانها، والظلم سينفى من الأرض.
- يا مدير البيت العظيم، أقض على الظلم، وأقم العدل، وقدم كل ما هو خير، وأمحُ كل ما هو سيء، حتى تكون كالشبع الذي يقضى على الجوع، أو كاللباس الذي يخفى العرى، أو كالسماء الصافية بعد سكون العاصفة، أو كالنار التي تطهو الطعام، أو كالماء الذي يطفئ الغلة. "من قصة الفلاح الفصيح"
- ارع الحق، وعامل الجميع بعدالة. "بتاح حوتب"

- إذا كنت حاكما، فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم، ولا تسئ إليه، قبل أن يفرغ بطنه ويفرغ من قول ما قد جاء من أجله، وإنها لفضيلة يزدان بها القبل أن يستمع مشفقا. "بتاح حوتب"
- لقد بلغت من العمر العاشرة بعد المائة، منحنى الملك في خلالها هبات تفوق هبات الأجداد، لأنى أقمت العدل للملك حتى القبر. "وزير مصري"

- إن العدالة خالدة الذكرى، فهي تنزل مع من يقيمها إلى القبر... ولكن اسمه لا يمحى من الأرض، بل يذكر على مر السنين، بسبب العدل. "من قصة الفلاح الفصيح"
- ويبقى صاحب الحكم العادل الذي يسير على خط مستقيم. "من أقوال الحكيم بتاح حتب"
- يعترف بفضل الرجل الذي يتخذ العدالة نبراسا له، فينهج نهجها[١٣]. "من أقوال بتاح حوتب"
- قد يفرح أهل زمان الإنسان، وقد يعمل ابن الإنسان على تخليد اسمه أبد الآبدين.... إن العدالة ستعود إلى مكانها، والظلم ينفى من الأرض. "نفر رو هو"

١٣. جيمس هنرى بريستد، فجر الضمير.

obeikandl.com